﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: 164]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الرَّبْطُ بَيْنَ دَلائِلِ العَظَمَةِ في الكَوْنِ، وبَيْنَ التَّأْكِيدِ عَلى صِدْقِ التَّوْحِيدِ

لَمّا ذَكَرَ في الآيَةِ السّابِقَةِ التَّوْحِيدَ، ناسَبَ أَنْ يُقَدِّمَ في هذه الآيَةِ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ الإِلَهَ واحِدٌ؛ فالآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى التَّوْحِيدِ المَذْكُورِ في الآيَةِ الأُولى[1]؛ فلَمَّا حَكَمَ سُبْحَانَهُ وتَعَالى لِنَفْسِهِ بالفَرْدانِيَّةِ والوَحْدانِيَّةِ، ذَكَرَ ثَمانِيَةَ أَنْواعٍ مِنَ الدَّلائِلِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِها عَلَى وُجُودِهِ سُبْحانَهُ أَوَّلاً، وعَلَى تَوْحِيدِهِ وبَراءَتِهِ عَنِ الأَضْدادِ والأَنْدادِ ثانِيًا[2]، فهِيَ الاسْتِدْلالُ عَلَى التَّوْحِيدِ المَذْكورِ قَبْلَها في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[3].

وَقَدْ يَكُونُ مِنَ المُناسَبَةِ، أَنَّهُ عَقَّبَ بِهَذِهِ الآيَةِ بَعْدَ ذِكْرِ الكِتْمانِ المُنْهِيِّ عَنْهُ في الآيَاتِ السَّابِقَةِ؛ فلَمَّا حَذَّرَ تعالى مِنْ كِتْمانِ الحَقِّ، بَيَّنَ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَجِبُ إِظْهَارُهُ ولَا يَجُوزُ كِتْمَانُهُ، أَمْرُ التَّوْحِيدِ، ووَصَلَ ذَلِكَ بِذِكْرِ البُرْهَانِ، والفِكْرِ في عَجَائِبِ الصُّنْعِ[4].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

لا يوصف بالخالق البديع إلّا الله الّذي أوجد من عدمٍ بقدرته

1) ﴿خَلْقِ﴾ من جذر (خلق)، وأَصْلُ المادّةِ يدلّ على تَقْدِيرِ الشَّيْءِ[5]، ويُسْتَعْمَلَ في إِبْدَاعِ الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ ولا احْتِذاءٍ، قال

(1) مكّيّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 1/533-534.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/152.
(3) ابن جزيّ، التسهيل لعلوم التنزيل: 1/105.
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 2/190-191.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلق).

تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعام: 01]، أَيْ: أَبْدَعَهُمَا، ولَيْسَ الخَلْقُ الَّذِي هُوَ الإِبْدَاعُ إِلَّا لِلّٰهِ تعالى؛ ولِهَذَا قالَ: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾ [النّحل: 17][1].

الأرض مسخّرة بحكمة الله ورحمته للبشر

2) ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أَصْلُ مَادَّةِ (أرض)، كُلُّ شَيْءٍ يَسْفُلُ ويُقَابِلُ السَّمَاءَ، والأَرْضُ: الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا[2]، والَّذِي وَرَدَ في القُرْآنِ الكَرِيمِ (الْأَرْضُ) هَذِهِ الَّتِي نَعِيشُ عَلَيْهَا، أَوْ بُقْعَةٌ خَاصَّةٌ مِنْهَا يُعَيِّنُهَا السِّيَاقُ[3].

والمعنى في الآية: الْأَرْضُ هَذِهِ الَّتِي نَعِيشُ عَلَيْهَا.

الاختلاف قانونٌ كونيٌّ مطّردٌ

3) ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ﴾: أَصْلُ مَادَّةِ (خلف): أَنْ يَجِيءَ شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ يَقُومُ مَقَامَهُ[4]، فخَلْفُ: ضِدُّ قُدَّام، وقَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [يونس: 6]، أَيْ: في مَجِيءِ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا خَلْفَ الآخَرِ وتَعَاقُبِهِمَا[5]، بِمَعْنَى: أَنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمَا يَخْلُفُ مَكَانَ صَاحِبِهِ؛ إِذَا ذَهَبَ اللَّيْلُ جَاءَ النَّهَارُ بَعْدَهُ، وإِذَا ذَهَبَ النَّهَارُ جَاءَ اللَّيْلُ خَلْفَهُ[6].

عمر الإنسان يُبليه الجديدان اللّيلُ والنّهارُ

4) ﴿ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: ﴿ٱلَّيۡلِ﴾ مِنَ الجِذْرِ (ليل)، وأَصْلُ مَادَّةِ (ليل) خِلَافُ النَّهَارِ[7]، وطَبِيعَةُ الظَّلَامِ مَعَ عُمُومِهِ، هُوَ المَلْحَظُ في تَسْمِيَةِ اللَّيْلِ؛ بِدَلِيلِ مُقَابَلَتِهِ بِالضِّيَاءِ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ﴾ [القصص: 71][8].

و﴿وَٱلنَّهَارِ﴾: مِنَ الجِذْرِ (نهر)، وأَصْلُ مادّة (نهر) يَدُلُّ عَلَى

(1) الراغب، المفردات: (خلق).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أرض).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أرض).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلف).
(5) الراغب، المفردات: (خلف).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 3/272.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ليل).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ليل).

تَفَتُّحِ شَيْءٍ، أَوْ فتْحِه، ومِنْهُ النَّهَارُ: انْفِتَاحُ الظُّلْمَةِ عَنِ الضِّيَاءِ، مَا بَيْنَ طُلُوعِ الفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ[1]، الوَقْتُ الَّذِي يَنْتَشِرُ فِيهِ الضَّوْءُ، مَا بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا[2].

جريانُ الفُلْك في المـاء، آيـةٌ على قدرته

5) ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي﴾، الفُلْكُ مِنَ الجذْرِ (فلك)، وأَصْلُ المادّةِ يَدُلُّ عَلَى اسْتِدَارَةٍ في شَيْءٍ، وأَمَّا السَّفِينَةُ فتُسَمَّى فُلْكًا؛ لِأَنَّهَا تُدَارُ في المَاءِ[3]، فهِيَ تَدُورُ بِالمَاءِ أَسْهَلَ دَوْرٍ[4]، ويُسْتَعْمَلُ لِلوَاحِدِ والجَمْعِ، ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾، ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾، [فاطر: 12][5].

وأمّا ﴿تَجْرِي﴾ فهي مِنَ الجذْرِ (جري)، وأَصْلُ هذه المادّةِ: انْسِيَاحُ الشَّيْءِ[6]، والجَرْيُ: المرُّ السَّرِيعُ، كَمَرِّ المَاءِ[7]، والانْتِقَالُ بِحَرَكَةٍ خَفِيفَةٍ، يقال: جَرَت الشَّمْسُ وسَائِرُ النُّجُومِ، والسَّفِينَةُ والرِّيَاحُ، وكُلّها فِيهِ خِفَّةُ الحَرَكَةِ[8]، قال ﷻ: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ [الزّخرف: 51]، وقال: ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾ [الرّوم: 46][9].

اتّساع البحار، دليل على سعة ملك الله القهّار

6) ﴿ٱلْبَحْرِ﴾ مِنَ الجذْرِ (بحر)، وأَصْلُ هذه المَادَّةِ: كُلُّ مَكَانٍ واسِعٍ جَامِعٍ لِلماءِ الكَثِيرِ[10]، سُمِّيَ بَحْرًا لِاسْتِبْحَارِهِ، أي انْبِسَاطِهِ وسَعَتِهِ[11]، وهُوَ خِلَافُ البَرِّ[12]، وكُلُّ نَهْرٍ لَا يَنْقَطِعُ مَاؤُهُ مِن الأَنْهَارِ العَذْبَةِ، مِثْلُ دِجْلَةَ والنِّيلِ: فهِيَ بِحارٌ، والبَحْرُ الكَبِيرُ وهُوَ مَغِيضُ هَذِهِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نهر).
(2) الراغب، المفردات: (نهر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فلك).
(4) الواحدي، التّفسير البسيط: 3/455.
(5) الراغب، المفردات: (فلك).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جري).
(7) الراغب، المفردات: (جري).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جري).
(9) الراغب، المفردات: (جري).
(10) الراغب، المفردات: (بحر).
(11) الخليل، العين: (حرب).
(12) الجوهري، الصّحاح: (بحر).

الأَنْهَار، فمَاؤُهُ مِلْحٌ أُجَاجٌ، وسُمِّيَتْ هَذِهِ الأَنْهَارُ بِحَارًا لِأَنَّهَا مَشْقُوقَةٌ في الأَرْضِ شَقًّا[1].

لا نفـــع إلّا بقضاء، ولا ضرّ إلّا بقدر

7) ﴿يَنفَعُ﴾: مِنَ الجِذْرِ (نفع)، وأَصْلُ هذه المادّةِ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الضَّرِّ[2]، النَّفْعُ: ما يُسْتَعَانُ بِهِ في الوُصُولِ إلى الخَيْرَاتِ، وما يُتَوَصَّلُ به إلى الخَيْرِ، فهُوَ خَيْرٌ، فالنَّفْعُ خَيْرٌ، وضِدُّهُ الضُّرُّ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [الفرقان: 3]، وقال: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: 188][3].

أنـــزل اللـه الشّرائع، لهداية الـنّـاس إلى صراط مستقيم

8) ﴿أَنزَلَ﴾: مِنَ الجِذْرِ (نزل)، وأَصْلُ هذه المادّةِ يَدُلُّ عَلَى هُبُوطِ شَيْءٍ ووُقُوعِهِ[4]، والنُّزُولُ في الأَصْلِ هُوَ انْحِطَاطٌ مِنْ عُلُوٍّ، وإِنْزَالُ اللَّهِ تعالى نِعَمَهُ ونِقَمَهُ عَلَى الخَلْقِ، وإِعْطَاؤُهُمْ إِيَّاهَا، كَإِنْزَالِ القُرْآنِ، والحَدِيدِ، واللِّبَاسِ، ونَحْوِ ذَلِكَ، قال تعالى: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: 1][5].

البـثُّ إيجـاد وانتشار وإظهار

9) ﴿وَبَثَّ﴾: مِنَ الجِذْرِ (بثث)، وأَصْلُ المادّة: تَفْرِيقُ الشَّيْءِ وإِظْهَارُهُ، يُقَالُ: بَثَّ الصَّيَّادُ كِلَابَهُ عَلَى الصَّيْدِ[6]، واللَّه تعالى خَلَقَ الخَلْقَ وبَثَّهُمْ في الأَرْضِ لِمَعَاشِهِمْ، وبَثَثْتُ الحَدِيثَ، أَيْ: نَشَرْتُهُ، وقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: 164]، إِشَارَةٌ إِلَى إِيجَادِهِ تعالى مَا لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا وإِظْهَارِهِ إِيَّاهُ[7].

ما مِـنْ دابّـةٍ إلّا وضَـمِـنَ اللـهُ رِزْقَـهـا، مُـدَّةَ وُجـودِهـا في الحَياةِ

10) ﴿دَآبَّةٍ﴾: مِنَ الجِذْرِ (دبب)، وأَصْلُ المادّة يدلّ على حَرَكَةٍ عَلَى الأَرْضِ أَخَفَّ مِنَ المَشْيِ، تَقُولُ: دَبَّ دَبِيبًا، وكُلُّ مَا مَشَى عَلَى الأَرْضِ فهُوَ دَابَّةٌ[8]، ومِنْهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم

(1) الأزهري، تهذيب اللّغة: (حرب).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نفع).
(3) الراغب، المفردات: (نفع).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نزل).
(5) الراغب، المفردات: (نزل).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بثّ).
(7) الراغب، المفردات: (بثّ).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دبّ).

مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ﴾ [النّور: 45]، فتَكُونُ الدَّابَّةُ جَمْعًا لِكُلِّ شَيْءٍ يَدِبُّ: ﴿۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: 22][1]، ومعنى الآية: كلُّ مَا دَبَّ عَلَى الأَرْضِ مِن النَّاسِ وغَيْرِهِمْ[2].

حِكْمَةُ الله في تَصْرِيفِ الرِّياحِ، يُوقِنُ بها كُلُّ فَلّاحٍ

11) ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: التصريفُ مِنَ الجِذْرِ (صرف)، وأَصْلُ هذه المادّة يَدُلُّ عَلَى رَجْعِ الشَّيْءِ[3]، والصَّرْفُ: رَدُّ الشَّيْءِ مِنْ حَالَةٍ إِلَى حَالَةٍ، أَوْ إِبْدَالُهُ بِغَيْرِهِ، وتَصْرِيفُ الرِّيَاحِ: صَرْفُهَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ: ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ﴾ [الأحقاف: 27]، ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ [طه: 113][4].

ومعنى قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ﴾: أي تَقْلِيبِ الرياح قَبُولًا ودَبُورًا، وشَمالًا وجَنوبًا، بِالرَّحْمَةِ وبِالعَذَابِ، وحارَّةً وبارِدَةً، ولَيِّنَةً، وعَاصِفَةً[5].

و﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾: مِنَ الجِذْرِ (روح)، وأَصْلُ هذه المادّة يَدُلُّ عَلَى سَعَةٍ وفُسْحَةٍ واطِّرَادٍ، وأَصْلُ اليَاءِ في الرِّيحِ وَاوٌ، فالرُّوحُ رُوحُ الإِنْسَانِ، وإِنَّمَا هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الرِّيحِ[6]، والرِّيحُ: الهَوَاءُ المُتَحَرِّكُ[7]، وسُمِّيَتِ الرِّيحُ رِيحًا؛ لِأَنَّ الغَالِبَ في هُبُوبِهَا المَجِيءُ بِالرُّوحِ والرَّاحَةِ، وانْقِطَاعُ هُبُوبِهَا يُكْسِبُ الكَرْبَ والغَمَّ[8].

سَخَّرَ اللهُ السَّحابَ لِإِحْياءِ الأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِها

12) ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾: السَّحَابُ مِنَ الجِذْرِ (سحب)، وأَصْلُ هذه المادّة يَدُلُّ عَلَى جَرِّ شَيْءٍ مَبْسُوطٍ ومَدِّهِ، وسُمِّي السَّحَابُ سَحَابًا، تَشْبِيهًا لَهُ بِذَلِكَ، كَأَنَّهُ يَنْسَحِبُ في الهَوَاءِ انْسِحَابًا[9]، ومِنْهُ

(1) الراغب، المفردات: (دبّ).
(2) الواحدي، التّفسير البسيط: 3/458.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صرف).
(4) الراغب، المفردات: (صرف).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 3/275، والنيسابوري، التّفسير البسيط: 3/465.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (روح).
(7) الراغب، المفردات: (روح).
(8) الواحدي، التّفسير البسيط: 3/459
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سحب).

سَحْبُ الإِنْسَانِ عَلَى الوَجْهِ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: 48][1].

ولفظ ﴿ٱلْمُسَخَّرِ﴾: مِنَ الجِذْرِ (سخر)، وأَصْلُ هذه المادّة يَدُلُّ عَلَى احْتِقَارٍ واسْتِذْلَالٍ، سَخَّرَ اللَّهُ ﷻ الشَّيْءَ، إِذَا ذَلَّلَهُ لَهُ لِأَمْرِهِ وإِرَادَتِهِ[2]، والتَّسْخِيرُ: سِيَاقَةٌ إِلَى الغَرَضِ المُخْتَصِّ قَهْرًا، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: 13]، فالمُسَخَّرُ هو المُقيَّضُ للفِعْل[3].

بَعَثَ اللهُ لِكُلِّ قَوْمٍ رَسُولًا مِنْهُمْ، لِيَهْدِيَهُمْ سَوَاءَ السَّبِيلِ

13) ﴿لِّقَوْمٍ﴾: مِنَ الجِذْرِ (قوم)، وأَصْلُ هذه المادّة يَدُلُّ عَلَى جَمَاعَةِ من النّاسِ، والقَوْمُ: جَمْعُ امْرِئٍ، ولَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا لِلرِّجَالِ غالباً، قال اللَّه تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحُجُرَات: 11]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾[4]، والقوم هُم الرِّجَالُ الَّذين يقُوم بَعضُهم مَعَ بعضٍ في الأُمُور، ولَا يَقَعُ عَلَى النِّسَاءِ إِلَّا عَلَى وجْهِ التَّبَعِ، والشَّاهِدُ قَوْلُ زُهَيْر:

وَمَا أَدْرِي وسَوْفَ إِخالُ أَدْرِي *** أَقومٌ آلُ حِصنٍ أَمْ نِسَاءُ

فأَخْرَجَ النِّسَاء من القَوْم[5]، وفي القُرْآنِ أُرِيدَ بِهِ الرِّجَالُ والنِّسَاءُ جَمِيعًا، وحَقِيقَتُهُ لِلرِّجَالِ[6].

مَنْ شَاوَرَ النَّاسَ، فَقَدْ شَارَكَهُمْ فِي عُقُولِهِمْ

14) ﴿يَعْقِلُونَ﴾ مِنَ الجِذْرِ (عقل)، وأَصْلُ هذه المادّةِ يَدُلُّ عَلَى حُبْسَةٍ في الشَّيْءِ، فالعَقْلُ حابِسٌ عَنْ ذَمِيمِ القَوْلِ والفِعْلِ[7]، وعَقَلْتُ البَعِيرَ عَقْلًا: أَنْ تَثْنِيَ وظِيفَهُ مَعَ ذِرَاعِهِ، فتَشُدَّهُمَا جَمِيعًا، وذَلِكَ هُوَ العِقَالُ، وعَقَلْتُ الشَّيْءَ عَقْلًا: تَدَبَّرْتُهُ، ثُمَّ أُطْلِقَ العَقْلُ الَّذِي هُوَ

(1) الراغب، المفردات: (سحب).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سخر).
(3) الراغب، المفردات: (سخر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قوم).
(5) أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللّغويّة: ص: 280.
(6) الراغب، المفردات: (قوم).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عقل).

مَصْدَرٌ عَلَى الحِجَا واللُّبِّ، وهو غَرِيزَةٌ يَتَهَيَّأُ بِهَا الإِنْسَانُ إِلَى فَهْمِ الخِطَابِ[1]، وهُوَ: نَقِيضُ الجَهْلِ[2]، والقُوَّةُ المُتَهَيِّئَةُ لِقَبُولِ العِلْمِ[3].

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بَدائِعُ المَخْلوقاتِ، دَلائِلُ عَلى إعجازِ قُدْرَةِ خالِقِ المَوْجوداتِ

هَذِهِ دَعْوَةٌ للنَّاسِ أَنْ يَتَأَمَّلُوا بَدِيعَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وأَنْ يُبْصِرُوا الآيَاتِ المَبْثُوثَةَ في كُلِّ أَرْكَانِ الوُجُودِ، ومَا أَوْدَعَ فِيهَا مِنْ حِكْمَةٍ ورَحْمَةٍ، شَاهِدَةٍ عَلَى الخَالِقِ الوَاحِدِ، نَاطِقَةٍ بِعَظَمَتِهِ وجَلَالِهِ وتَوْحِيدِهِ:

وفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ *** تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الوَاحِدُ

التَّأَمُّلُ في المَخْلوقاتِ طَريقٌ إلى مَعْرِفَةِ اللهِ، وإدْراكِ إعْجازِ الخَلْقِ في الكَوْنِ

إِنَّ النَّظَرَ في مَخْلُوقَاتِ اللهِ طَرِيقٌ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، ومعرفة مَا وَرَاءَ هَذِهِ المَخْلُوقَاتِ؛ فالآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى الخَالِقِ العَظِيمِ شَاخِصَةٌ بَيِّنَةٌ، في خَلْقِ السَّمَاوَاتِ بارتفاعها واتساعها، والأَرْضِ بجبالها وسهولها وبحارها، وفي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ والنَّهَارِمن الطُّول والقِصَر، والظلمة والنور، وفي السُّفُنِ الَّتِي تَجْرِي عَلَى المَاءِ الَّذِي يَحْمِلُهَا، وبالهَوَاءِ الَّذِي يَدْفَعُهَا، حَامِلَةً مَا يَنْفَعُ النَّاسَ مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وفي الغَيْثِ الَّذِي يُعِيدُ الحَيَاةَ لِلأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا، فتَصِيرُ مُخْضَرَّةً، ذَاتَ بَهْجَةٍ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ يَابِسَةً، لَا نَبَاتَ فِيهَا، وفي الكَائِنَاتِ المَبْثُوثَةِ في أَنْحَاءِ الأَرْضِ، وفي الرِّيَاحِ وتَنَوُّعِهَا، وحَرَكَتِهَا مِنْ جِهَةٍ لِجِهَةٍ، وفي السَّحَابِ المُذَلَّلِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، كُلُّ هَذِهِ الآيَاتِ، ومَا فِيهَا مِنْ أَسْرَارٍ، دَلَائِلُ بَيِّنَةٌ عَلَى خَالِقِ الكَوْنِ الوَاحِدِ سُبْحَانَهُ، لِمَنْ لَدَيْهِ بَصِيرَةٌ في فَهْمِ الأَدِلَّةِ والبَرَاهِينِ[4]، فهَذِهِ الأَشْيَاءُ وحُدُوثُهَا وإِحْكَامُ صَنْعَتِهَا عَلَامَاتٌ بَيِّنَةٌ، ودَلَالَةٌ واضِحَةٌ، عَلَى تَوْحِيدِ خَالِقِهَا، وتَمْحِيضِ العِبَادَةِ لَهُ دُونَ غَيْرِهِ[5].

(1) الفيّومي، المصباح المنير: (عقل).
(2) الخليل، العين: (عقل).
(3) الراغب، المفردات: (عقل).
(4) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 1/184، وجماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم: ص: 25.
(5) مكّيّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 1/534.

قال الشّهابُ الخفاجي: "واعْلَمْ أنّ دَلالةَ هذِهِ الآياتِ على وُجودِ الإلهِ ووَحْدَتِهِ، مِنْ وُجوهٍ كَثيرَةٍ، يَطولُ شَرْحُها مُفَصَّلًا، والكَلامُ المُجْمَلُ: أنَّها أمورٌ مُمْكِنَةٌ، وُجِّهَ كُلٌّ مِنْها بِوَجْهٍ مَخْصوصٍ، مِنْ وُجوهٍ مُحْتَمَلَةٍ، وأنْحاءٍ مُختلِفةٍ، إذْ كان مِنَ الجائِزِ مَثَلًا أنْ لا تَتَحرّكَ السّماواتُ أو بعضُها كالأرضِ، وأن تَتَحَرّكَ بعكسِ حَركاتِها، وبحيثُ تَصيرُ المِنطَقةُ دائِرةً مارّةً بالقُطْبَينِ، وأن لا يَكونَ لَها أَوْجٌ وحَضيضٌ أصْلًا، أو عَلى هذا الوَجهِ، لِبَساطَتِها وتَساوي أجْزائِها، فلا بُدَّ لها مِنْ مُوجِدٍ قادِرٍ حَكيمٍ، يُوجِدُها عَلى ما تَسْتَدْعيهِ حِكْمَتُهُ، وتَقْتَضيهِ مَشيئَتُهُ، مُتَعاليًا عَنْ مُعارَضَةِ غَيْرِهِ"[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَوِيُّ والبَلاغِيُّ:

فائِدَةُ تَأْكِيدِ الخَبَرِ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾:

إنْزالُ المُخاطَبينَ مَنْزِلَةَ المُنْكِرينَ، لِتَأْكيدِ أَدِلَّةِ وُجودِ اللهِ

أَكَّدَتِ الآيةُ الخَبَرَ بـ﴿إِنَّ﴾ والجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ؛ لِلاهْتِمامِ بمضمونِ الخَبَرِ، ولِأَنَّ الإنسانَ يغفلُ عن الاستدلالِ بخلقِ السَّماواتِ والأرضِ على بديعِ الصُّنْعِ، واستحقاقِ الخالقِ توحيدَه وإفرادَه بالعبادةِ الحقَّةِ؛ فنُزِّلَ المُخاطَبُ منزلةَ المُنكرِ أن يكونَ هذا الخَلْقُ آيةً لأولي الألبابِ.

بلاغةُ جَمْعِ السّماواتِ وإفرادِ الأرْضِ:

عَطْفُ الأرضِ عَلى السّماواتِ، ودَلالَتُهُ في الآيَةِ

جُمِعَت السَّمَاوَاتُ؛ لِأَنَّهَا أَجْنَاسٌ مُخْتَلِفَةٌ، كُلُّ سَمَاءٍ مِنْ جِنْسٍ غَيْرِ الأُخْرَى، ووَحَّدَ الأَرْضَ؛ لِأَنَّهَا كُلَّهَا تُرَابٌ[2]، ولِأَنَّ الأَرْضَ عَالَمٌ واحِدٌ، والمَعْنَى: أَنَّ في خَلْقِ مَجْمُوعِ السَّمَاوَاتِ مَعَ الأَرْضِ آيَاتٍ؛ فلِذَلِكَ أُفْرِدَ الخَلْقُ وجُعِلَت الأَرْضُ مَعْطُوفًا عَلَى السَّماوَاتِ؛ لِيَتَسَلَّطَ المُضَافُ عَلَيْهِمَا[3].

(1) الخفاجي، عِنَايةُ القَاضي: 2/263.
(2) الواحدي، التّفسير البسيط: 3/453، والبغويّ، معالم التنزيل: 1/195.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/77.

فائِدَةُ إضافَةِ الاخْتِلافِ لِلّيلِ والنّهار في الآيَةِ:

في اخْتِلافِ اللّيلِ والنّهارِ، تَكامُلٌ بَيْنَ مُهِمَّةِ كُلٍّ مِنْهُما، لِسَيْرورَةِ الحَياةِ

أُضِيفَ الاخْتِلافُ لِكُلٍّ مِن اللَّيْلِ والنَّهارِ؛ لِأَنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمَا يخْلُفُ الآخَرَ؛ فتَحْصُل مِنْهُ فوَائِدُ الآخَرِ، بحَيْثُ لَوْ دَامَ أَحَدُهُمَا لَانْقَلَبَ النَّفْعُ ضَرَرًا[1]، وعَلَى هَذَا قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ [القصص: 71- 72].

تقْدِيمُ اللَّيلِ على النَّهارِ، في قوله: ﴿وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾:

قَدَّمَ النَّظمُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ في الذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ مُقَدَّمٌ عَلَيهِ، باعْتِبارِهِ مُنسَلِخًا مِنْهُ، قال اللَّهُ ﷻ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: 37][2]؛ ففيها إشارةٌ إلى القائلين بأنَّ اللَّيلَ هو بدايةُ اليوم.

دلالَةُ الفُلْكِ عَلى الجَمْعِ، في قوله: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾:

يَعنِي بالفُلكِ السُّفُنَ، واحِدُهُ وجَمْعُهُ سَوَاءٌ، فإذَا أُرِيدَ بِهِ الجَمْعُ يُؤَنَّثُ، وإذا أُرِيدَ بِهِ الوَاحِدُ يُذَكَّرُ، قَالَ ﷻ، في الإفْرادِ والتَّذْكِيرِ: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ [الصَّافَّات: 140]، وقَالَ في الجَمْعِ والتَّأْنِيثِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يُونُس: 22][3]، وفي الآيَةِ أَرَادَ بِهِ الجَمْعَ؛ لِأَنَّهُ أَظْهَرُ لِلامْتِنَانِ.

فائِدَةُ التَّعْبِيرِ بالمُضَارِعِ ﴿تَجْرِى﴾، وَوصْفِ الفُلْكِ بالجَرْيِ:

المُشابَهَةُ بَيْنَ الفُلْكِ الجارِيَةِ في البَحْرِ، وفُلْكِ الكَوْنِ الضَّخْمَةِ العَجيبَةِ الصُّنْعِ

عَبَّرَ بالفِعْلِ المُضَارِعِ ﴿تَجْرِى﴾ عن جَرْيِ السُّفُنِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّجَدُّدِ والحُدُوثِ، وهَذَا أَظْهَرُ لِلامْتِنَانِ والاعْتِبَارِ؛ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَهَا تَجْرِي، ووَصَفَ السُّفُنَ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿ٱلَّتِى تَجْرِى﴾، أَيْ بالمَوْصُولِ وصِلَتِهِ؛ لِتَعْلِيلِ العَطْفِ، أَيْ أَنَّ عَطْفَهَا عَلَى ﴿خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، في كَوْنِهَا آيَةً، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَجْرِي في البَحْرِ، وفي كَوْنِهَا نِعْمَةً، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/79.
(2) البغويّ، معالم التنزيل: 1/195.
(3) البغويّ، معالم التنزيل: 1/195.

تَجْرِي بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ[1]، وقَوْلُهُ ﷻ: ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾ تَوْكِيدٌ؛ إِذْ مَعْلُوم أَنَّهَا لَا تَجْرِي في غَيْرِهِ، فهُوَ كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: 38][2].

المَجَازُ العَقْلِيُّ في قَوْلِهِ ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي﴾:

أَسْنَدَ الجَرَيَانَ إِلَى السُّفُنِ عَلَى سَبِيلِ التَّوَسُّعِ؛ حَيْثُ جَعَلَ لَهَا قُدْرَةً عَلَى الجَرْيِ مِنْ ذَاتِهَا، وهَذَا مِن المَجَازِ العَقْلِيِّ، إِذِ الجَرْيُ لا يكونُ إِلَّا بأمرِ اللهِ تعالى، وهو ما يُؤَكِّدُه السِّياقُ؛ فهي أدلةٌ مسوقةٌ لإثباتِ قدرةِ اللهِ في السَّماءِ والأرضِ والبحر.

دَلَالَةُ (مَا) في قَوْلِهِ: ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾:

الأدواتُ تُجلِّي المَعاني وتكشفُ عن بلاغةِ المباني

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿بِمَا يَنفَعُ﴾ في (مَا) قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا مَوْصُولَةٌ اسْمِيَّةٌ، وعَلَى هَذَا فالبَاءُ لِلحَالِ أَيْ: تَجْرِي مَصْحُوبَةً بالأَعْيَانِ الَّتِي تَنْفَعُ النَّاسَ، والثَّانِي: أَنَّهَا حَرْفِيَّةٌ مَصْدَرِيَّةٌ، وعَلَى هَذَا تَكُونُ البَاءُ لِلسَّبَبِ، أَيْ: تَجْرِي بِسَبَبِ نَفْعِ النَّاسِ في التِّجَارَةِ وغَيْرِهَا[3].

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ عَنِ المَطَرِ بالمَوْصُولِ، في قَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾:

إيثارُ الإطنابِ على الإيجازِ اللَّفظيِّ مُرتهنٌ بالبلاغةِ

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾، مَعْطُوفٌ عَلَى الأَسْمَاءِ الَّتِي قَبْلَهُ، جِيءَ بِهِ اسْمَ مَوْصُولٍ؛ لِيَأْتِيَ عَطْفَ صِلَةٍ عَلَى صِلَةٍ؛ فتَبْقَى الجُمْلَةُ بِمَقْصِدِ العِبْرَةِ والنِّعْمَةِ، فالصِّلَةُ ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾، تَذْكِيرٌ بالعِبْرَةِ؛ لِأَنَّ في الصِّلَةِ مِن اسْتِحْضَارِ الحَالَةِ مَا لَيْسَ في نَحْوِ كَلِمَةِ المَطَرِ والغَيْثِ[4]، وفَائِدَةُ ذَلِكَ إِظْهَارُ المُنْزِلِ وهُوَ اللَّهُ تعالى، ولَوْ عَبَّرَ عَنِ المذكُورِ بالمَطَرِ؛ لَانْتَفَتِ الحَاجَةُ لِلصِّلَةِ الَّتِي أَمْكَنَ مِنْ خِلَالِهَا التَّعْبِيرُ عَنِ المُنْزِلِ وهُوَ اللَّهُ ﷻ، وهو خلافُ مقصودِ السِّياقِ من تثبيتِ الامتنانِ في ثنايا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/80.
(2) السمين، الدّر المصون: 2/201.
(3) السمين، الدّر المصون: 2/202.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/82.

الاستدلال، وذكرِ لفظِ الجلالةِ، وبيانِ أنَّ النزولَ بدأَ من السَّماءِ، بما يُثري معاني الجلال والجمالِ.

معنى حرفِ ﴿مِن﴾ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾:

المـاءُ المُـنـزَّلُ مُعْجِزٌ، والتَّعْبيرُ المُنْزَلُ مُعْجِزٌ

حرفُ ﴿مِن﴾ الأُولَى مَعْنَاهَا ابْتِدَاءُ الغَايَةِ، أَي: أَنْزَلَ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ، وأَمَّا الثَّانِيَةُ فتَحْتَمِلُ ثَلَاثَةَ أَوْجُهٍ، أَحَدُهَا: أَنْ تَكُونَ لِبَيَانِ الجِنْسِ؛ فإنَّ المُنَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ وغَيْرُهُ، والثَّاني: أَنْ تَكُونَ لِلتَّبْعِيضِ؛ فإنَّ الماءَ المُنَزَّلَ مِنْهُ بَعْضُ النَّازِلِ لَا كُلُّه، والثَّالِثُ: أَنْ تَكُونَ هِيَ ومَا بَعْدَهَا، بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، بَدَلَ اشْتِمَالٍ بِتَكْرِيرِ العَامِلِ[1].

بلاغةُ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾:

دقَّةُ ألفاظِ سياقِ الامتنانِ

عَطَفَتِ الآيةُ ﴿فَأَحْيَا﴾ عَلَى ﴿أَنزَلَ﴾ في قَوْلِه: ﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾ بِفَاءِ التَّعْقِيبِ؛ دَلَالَةً عَلَى سُرْعَةِ الإِنْبَاتِ[2]، فلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا مُهْلَةٌ، والبَاءُ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِلسَّبَبِ، وأَنْ تَكُونَ بَاءَ الآلَةِ[3]، وهو تَعْدَادٌ للنِّعَمِ وبيانُ كَمالِ القُدْرَةِ، حَيْثُ أَحْيا الأرضَ بِما أَنْزَلَ مِنَ السَّحابِ المُثْقَلِ بالغَيْثِ العَميمِ، فوافى الأَرْضَ مُتَهَيِّئَةً للعَطاءِ، بِما يَتَفَتَّقُ مِن زَهَرٍ، وما يَكْتَمِلُ مِن ثَمَرٍ[4].

بلاغةُ المجازِ العقليِّ:

إيجازٌ بَليغٌ في الدّلالةِ على المعاني الكثيرةِ

أَرَادَ بِمَوْتِ الأَرْضِ: جُدُوبَتَهَا ويُبُوسَتَهَا، فسَمَّاهَا مَوْتًا مَجَازًا؛ لِأَنَّ الأَرْضَ إِذَا لَمْ يُصِبْهَا مَطَرٌ لَمْ تَنْبُتْ، ولَمْ تُنْمِ نَبَاتًا، وكَانَتْ مِنْ هَذَا الوَجْهِ كَالمَيِّتِ[5]؛ لِأَنَّ الحَيَاةَ لَا تَصِحُّ إِلَّا عَلَى مَنْ يُدْرِكُ ويَصِحُّ أَنْ يَعْلَمَ، وكَذَلِكَ المَوْتُ، إِلَّا أَنَّ الجِسْمَ إِذَا صَارَ حَيًّا حَصَلَ فِيهِ أَنْوَاعٌ مِن

(1) السمين، الدّر المصون: 2/202.
(2) السمين، الدّر المصون: 2/202.
(3) السمين، الدّر المصون: 2/202.
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/122.
(5) النيسابوري، التّفسير البسيط: 3/457.

الحُسْنِ والنُّضْرَةِ والبَهَاءِ، والنُّشُورِ والنَّمَاءِ، فأَطْلَقَ لَفْظَ الحَيَاةِ عَلَى حُصُولِ هَذِهِ الأَشْيَاءِ، وهَذَا مِنْ فصيحِ الكَلَامِ الَّذِي - عَلَى اخْتِصَارِهِ - يَجْمَعُ المَعَانِيَ الكَثِيرَةَ[1]، فإِطْلَاقُ المَوْتِ والحَيَاةِ عَلَى الأَرْضِ مجَازٌ عَقْلِيٌّ؛ لِأَنَّ المَوْتَ والحَيَاةَ لَا يُطْلقَانِ إِلَّا عَلَى مَنْ يُحِسُّ ويُدْرِكُ.

فنُّ الطِّبَاقِ في قَوْلِهِ: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾:

تنبيهُ الأذهانِ على تمامِ النِّعمةِ وكمالِ المِنَّةِ

في مقابلةِ الإحياءِ للموتِ في قوله: ﴿فَأَحْيَا﴾ و﴿مَوْتِهَا﴾ فنُّ الطِّبَاقِ، وهُوَ من المُحَسِّنَاتِ المَعْنَوِيَّةِ، والتَّقابُلُ بَيْنهما هو تقابُلٌ ضديٌّ غايتُه زيادةُ الامتنانِ على العبادِ، فإنَّ دَرْكَ قيمةِ حياةِ الأرضِ لا يكونُ تامًّا إلَّا بعد دَرْكِ مَوْتِها.

تعدُّدُ احْتِمالِ تعيينِ المعطوفِ عَلَيْه:

بَثُّ الدَّوابِّ في الأرضِ، مُتَّصِلَةٌ بالإنْزالِ والإحْياءِ، دَلالَةً عَلى تَكامُلِ الأفْعالِ

قَوْلُهُ: ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾، قال الزَّمَخْشَرِي: "فَإِن قُلْتَ: قَوْلُهُ: ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿أَنزَلَ﴾ أَمْ ﴿أَحْيَا﴾؟ قُلْتُ: الظَّاهِرُ أَنَّهُ عَطْفٌ عَلَى ﴿أَنزَلَ﴾، دَاخِلٌ تَحْتَ حُكْمِ الصِّلَةِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿أَنزَلَ﴾، فاتَّصَلَ بِهِ وصَارَا جَمِيعًا كَالشَّيْءِ الوَاحِدِ، فكَأَنَّهُ قِيلَ: (وَمَا أَنْزَلَ في الأَرْضِ مِنْ مَاءٍ وبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ)، ويَجُوزُ عَطْفُهُ عَلَى ﴿أَحْيَا﴾، عَلَى مَعْنى: (فَأَحْيَا بالمَطَرِ الأَرْضَ، وبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ)؛ لِأَنَّهُمْ يَنْمُونَ بالخِصْبِ ويَعِيشُونَ بالحَيَا"[2].

تَنْكِيرُ ﴿دَآبَّةٍ﴾ للتَّنويعِ:

التَّنْكِيرُ في ﴿دَآبَّةٍ﴾ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾؛ لِلتَّنْوِيعِ، أَيْ أَكْثَرَ اللَّهُ تعالى مِنْ كُلِّ الأَنْوَاعِ، لَا يَخْتَصُّ ذَلِكَ بِنَوْعٍ دُونَ آخَرَ[3].

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/170.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/210، والحَيَا: المطرُ.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/84.

أوْجُهُ الإيجَازِ بالحَذْفِ في قَوْلِهِ: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾:

تـصـريـفُ اللَّـهِ الـرِّيَـاحَ، مِـنَ الـمُـعْـجِـزاتِ الـظَّـاهِـرَةِ في الكَوْنِ

قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾، يُحتملُ أن يكون المعنى: وتَصْرِيفِ اللَّهِ الرِّيَاحَ، فأَضَافَ المَصْدَرَ إِلَى المَفْعُولِ، والفَاعِلُ مَحْذُوفٌ، وهُوَ كَثِيرٌ، وفِيهِ وجْهٌ آخَرُ، وهُوَ أَنْ يَكُونَ ﴿وَتَصۡرِيفِ﴾ مَصْدَرًا مُضَافًا لِلْفَاعِلِ، أَيْ: والمَفْعُولُ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: وتَصْرِيفُ الرِّيَاحِ السَّحَابَ، فإِنَّهَا تَسُوقُ السَّحَابَ[1].

تَنوُّعُ عَطْفِ لَفْظِ السَّحاب، في قَوْلِهِ: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ﴾:

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ﴾ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾، أَوْ عَلَى ﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾، ويَكُون التَّقْدِيرُ: وتَصْرِيفِ السَّحَابِ المُسَخَّرِ، أَيْ: نَقْلِه مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ[2].

فائِدَةُ الفَصْلِ بَيْنَ الجُمَلِ مِنْ أَوَّلِ الآيَةِ إِلَى آخِرِهَا:

الآيـةُ مُتَّصِلَةُ الأواخِـي، في الـتَّـعـبـيرِ عَـنِ الإعْجازِ الكَوْنِيّ، بِبَلاغَةٍ ودِقَّةٍ

هنالك عَطْفٌ بَيْنَ الجُمَلِ مِنْ بِدَايَةِ الآيَةِ حَتَّى نِهَايَتِهَا؛ لِاتِّحَادِ هَذِهِ الجُمَلِ بالخَبَرِيَّةِ، فكُلُّ جُمْلَةٍ تَحْمِلُ دَلِيلًا جَدِيدًا مُخْتَلِفًا عَنْ سَابِقِهِ؛ لِذَلِكَ اسْتَعْمَلَ حَرْفَ الوَاوِ لِلعَطْفِ بَيْنَهَا[3].

فائِدَةُ اللَّامِ في قَوْلِهِ: ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾:

تَأكيدُ الآيـاتِ، لـلَـفْـتِ نَـظَـرِ الـعُـقَـلاءِ إلى بَديعِ صُنْعِ اللهِ

اللَّامُ لِلتَّوْكِيدِ، وهِيَ واقِعَةٌ في اسْمِ ﴿إِنَّ﴾ المُؤَخَّرِ، فقَوْلُهُ ﷻ: ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ اسْمُ ﴿إِنَّ﴾، والجَارُّ والمَجْرُورُ ﴿فِي خَلۡقِ﴾ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، ودَخَلَت اللَّامُ عَلَى الاسْمِ؛ لِتَأَخُّرِهِ عَنِ الخَبَرِ، ولَوْ كَانَ مَوْضِعَهُ لما جَازَ ذَلِكَ فِيهِ[4].

دَلالَةُ الجَمْعِ في قَوْلِهِ: ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾:

دَلالَـةُ الآيـاتِ الـكُـلِّـيَّـةُ أوِ الجُزْئِيّةُ المُبْرِزَةُ لِعَظَمَةِ الكَوْنِ المُسَخَّرِ

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ جَمْعٌ، فيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى

(1) النيسابوري، التّفسير البسيط: 3/458، والسمين، الدّر المصون: 2/206.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/87.
(3) محمد بن سعد الدبل، دليل البلاغة القرآنيّة: 1/226.
(4) السمين، الدّر المصون: 2/208.

الكُلِّ، أَيْ مَجْمُوعُ هَذِهِ الأَشْيَاءِ آيَاتٌ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ راجعًا إلى كلِّ واحدةٍ من المذكُوراتِ، أي: أَنَّ في كُلِّ واحِدٍ مِمَّا ذُكِرَ آيَاتٍ كثيراتٍ وأَدِلَّةً مُتعدِّدةً[1].

دَلَالَةُ التَّنْكِيرِ في قَوْلِهِ: ﴿لَآيَٰتٍ﴾:

التَّنْكِيرُ أَدَلُّ عَلى العَظَمَةِ، وأَقْرَبُ لِروحِ السِّيَاقِ في الآيَةِ

آثَرَ السِّياقُ التَّنْكِيرَ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾، ولَمْ يَقُلْ: (إنَّ تِلْكَ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) بِالتَّعْرِيفِ؛ لِتَفْخِيمِ الآيَاتِ، أَيْ: إنَّ في تِلْكَ الدَّلَائِلِ آيَاتٍ عَظِيمَةً دَالَّةً عَلَى قُدْرَةٍ قَاهِرَةٍ وحِكْمَةٍ بَاهِرَةٍ.

وجْهُ تَخْصِيصِ الآيَاتِ بقَوْلِهِ: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ودَلالَةُ اللّامِ فيها:

خِطابُ العَقْلِ والعُقَلاءِ، مَنْهَجٌ أصيلٌ في الخِطابِ القُرْآنِيِّ

إنَّمَا خَصَّ الآيَاتِ بِهِمْ؛ لِأَنَّهُم الذينَ يَتَمَكَّنُونَ مِن النَّظَرِ فِيهِ، والاسْتِدْلَالِ بِهِ عَلَى مَا يَلْزَمُهُمْ مِنْ تَوْحِيدِ رَبِّهِمْ، وعَدْلِهِ، لِيَقُومُوا بِشُكْرِهِ، ومَا يَلْزَمُ عِبَادَتَهُ وطَاعَتَهُ[2]، مع الإشارةِ إلى أنّ اللَّامَ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾، تُفِيدُ الاخْتِصَاصَ؛ فهَذِهِ المَذْكوراتُ هِيَ لَهُمْ آياتٌ بالانتفاعِ بها دُونَ سِوَاهُمْ؛ فغيرُهُمْ لا يُلاحِظونَ كونَها آيَةً؛ وإنَّمَا خَصَّتْهُمْ لِكَوْنِهِمْ يَعْقِلُونَ الآيَاتِ، ويَفْهَمُونَ أَنَّ وَرَاءَهَا مُبْدِعًا عَظِيمًا.

دَلالَةُ التّعبيرِ بِلَفْظِ (قَوْمٍ):

لا يَنْتَفِعُ بِالنَّظَرِ في الآياتِ، إلّا أُولُو النُّهى والحصَافَةِ

قَالَ ﷻ: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾، دُونَ أَنْ يُقَالَ (لِلَّذِينَ يَعْقِلُونَ)، أَوْ (لِلعَاقِلِينَ)؛ لِأَنَّ إِجْرَاءَ الوَصْفِ عَلَى لَفْظِ (قَوْم)، يُومِئُ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ الوَصْفَ سَجِيَّةٌ فِيهِمْ، ومِنْ مُكَمِّلَاتِ قَوْمِيَّتِهِمْ؛ فإنَّ لِلقَبَائِلِ والأُمَمِ خَصَائِصَ تُمَيِّزُهَا، وتُشْتَهَرُ بِهَا، كَمَا قال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [التّوبة: 56]، وقَدْ تَكَرَّرَ هَذَا في مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِن القُرْآنِ، ومِنْ كَلَامِ العَرَبِ، فالمَعْنَى أَنَّ في ذَلِكَ آيَاتٍ لِلَّذِينَ

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/173.
(2) المصدر السّابق: 4/174.

سَجِيَّتُهُم العَقْلُ، وهُوَ تَعْرِيضٌ بِأَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِآيَاتِ ذَلِكَ لَيْسَتْ عُقُولُهُمْ بِرَاسِخَةٍ[1]، وفيها كذلك أنَّ العقلَ ممَّا يقومُ به الإنسانُ ويعيشُ به.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بالفِعْلِ المُضَارِعِ، في قَوْلِهِ: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

تـجَـدُّدِ عـقـلِ الآيـاتِ منهم فكُلَّما نَظَروا عَقَلُوا

قَوْلُهُ: ﴿يَعْقِلُونَ﴾: الجُمْلَةُ في مَحَلِّ جَرٍّ؛ لِأَنَّهَا صِفَةٌ لِقَوْمٍ[2]، وآثَرَ أَنْ يَكُونَ الوَصْفُ بالجُمْلَةِ الفِعْلِيَّةِ الَّتِي فِعْلُهَا مُضَارِعٌ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَجَدُّدِ فِعْلِ العَقْلِ إِزَاءَ تِلْكَ الآيَاتِ، ولَوْ وصَفَهُ بِالاسْمِ، فقَالَ: (لِقَوْمٍ عَاقِلِينَ)، لَمَا دَلَّ عَلَى تجَدُّدِ عقلِ الآياتِ منهم كما في التَّعبيرِ بالفعليَّةِ، فإنَّهم كلَّما نظروا عقلوا.

توجيهُ المخصُوصاتِ بِالذِّكْرِ:

جَـمَـعـتْ بَـيْنَ كَـوْنِـهَـا دَلَائِـلَ، وكَـوْنِـهَـا نِعَمًا؛ فـهـي أَنْـجَـعُ في القُلُوبِ، وأَشَدُّ تَأْثِيرًا في الخَوَاطِرِ

قَالَ الفَخْر الرَّازِي: إِنَّ "سَائِرَ الأَجْسَامِ والأَعْرَاضِ، وإِنْ كَانَتْ تَدُلُّ عَلَى الصَّانِعِ، فهُوَ تعالى خَصَّ هَذِهِ الثَّمَانِيَةَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهَا جَامِعَةٌ بَيْنَ كَوْنِهَا دَلَائِلَ، وبَيْنَ كَوْنِهَا نِعَمًا عَلَى المُكَلَّفِينَ عَلَى أَوْفَرِ حَظٍّ ونَصِيبٍ، ومَتَى كَانَتِ الدَّلَائِلُ كَذَلِكَ، كَانَتْ أَنْجَعَ في القُلُوبِ، وأَشَدَّ تَأْثِيرًا في الخَوَاطِرِ"[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/89.
(2) السمين، الدّر المصون: 2/208.
(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/174.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»